

الفقه الإسلامي - موضوعات متفرقة - الدرس ٥٧ : فضل العشر من ذي الحجة .  
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٠-٠٣-٠٥ .

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

## فضل العشر من ذي الحجة :

أيها الأخوة الكرام . . . نحن مُقْبِلُونَ على عشرة أيام ، هي من أفضل أيام العمر ، إنها الأيام العشرة من ذي الحجة ، والنبي عليه الصلاة والسلام شهد لها بأنها أفضل أيام الدنيا على الإطلاق ، وحثَّ فيها على العمل الصالح ، وعلى بعض العبادات ، بل إن الله تعالى في بعض التفسيرات أقسم بها :

### ﴿ وَالْفَجْرِ \* وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾

[سورة الفجر : ١-٢]

وهذا القسم وحده يكفي أن تكون هذه الأيام من أفضل أيام الدنيا في حياة المسلم ، إذ أن العظيم لا يُقْسَمُ إلا بعظيم . . .

### ﴿ وَالْفَجْرِ \* وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾

[سورة الفجر : ١-٢]

هذا يستدعي من المسلم أن يجتهد في هذه الأيام العشر ، وأن يكثر من الأعمال الصالحة ، وأن يحسن استقبالها واغتنامها ، هذا محور هذا الدرس إن شاء الله تعالى ، وهو أنسب موضوع لهذه الأيام العشر ، التي نحن مقبلون عليها .

العلماء قالوا : بأي شيء تستقبل هذه الأيام العشر ؟ تستقبل أولاً بالتوبة الصادقة ، والمؤمن كثير التوبة مع كل موسم ، في كل مناسبة ، في مَطْلَعِ أي عبادة ، في قرب مجيء أي موسم يبدأ بالتوبة الصادقة ، لقوله تعالى :

### ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾

[سورة التحريم : ٨]

وفي آية أخرى :

### ﴿ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴾

[سورة النور : ٣١]

وكما تعلمون التوبة علمٌ وحالٌ وعملٌ ، فكلما ازداد علمك ازدادت معرفتك بالذنوب ، كلما ازدادت معرفتك بالذنوب اشتدت حالات الألم لما بدر من ذنب ، العلم بالذنب والندم عليه يستدعيان الإقلاع عنه فوراً ، والعزيمة على ألا تقع به مستقبلاً ، وأن تُصَحِّحَ ما بدر منك في الماضي ، إقلاعٌ ، وعزيمةٌ ، وإصلاحٌ ، وندمٌ ، وعلمٌ .

سيأتي بعد قليل بعض الأحاديث الشريفة التي نوّه بها النبي صلى الله عليه و سلم بفضل هذه الأيام العشر ، لا بدّ من أن يستقبل المسلم هذه الأيام بعزمٍ جادٍ على اغتنامها ؛ في إتقان عباداتها ، وفي الإكثار من العمل الصالح ، وفي أداء ما أفرّه العلماء استنباطاً من السنّة الشريفة ، طبعاً الآية الكريمة :

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾

[ سورة العنكبوت : ٦٩ ]

الشيء الثاني : البُعد عن المعاصي ، فقد يقول قائل : هذا الشيء ثابت في حياة المؤمن ؟ نقول : نعم . ولكن الذي هو مقصّر في معصية ينبغي أن يبتعد عنها ، الذي تجول في خاطره ينبغي أن تتزَع منه ، الذي تركها ينبغي أن يثبت على تركها . دائماً عندنا قاعدة : إذا جاء الأمر للمجتهد أن اجتهد ، أي اثبت على اجتهادك . إذا دعا النبي عليه الصلاة والسلام ، أو إذا أمر النبي عليه الصلاة والسلام :

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾

[ سورة الأحزاب : ١ ]

هل معنى ذلك أنه ليس متقياً لله ؟ لا ، هو متقٍ لله ، فإذا الأمر للمتقي أن اتق ، أي استمر واثبت على تقواك .

أيها الأخوة . . . العلماء قالوا : كما أن الطاعات أسباب القرب من الله تعالى ، كذلك المعاصي أسباب البُعد عن الله تعالى ، فبالنهاية ؛ طاعة تقرب ، ومعصية تبعد ، عمل تقبل به وعمل تعرض به ، عمل يوصلك بالله ، وعمل يقطعك عن الله ، وفي النهاية المؤمن الصادق يتحرى كل عمل يوصله بالله ، ويبتعد عن كل عمل يقطعه عن الله ، الإنسان قد يحرم رحمة الله عزّ وجل بسبب ذنب ارتكبه ، فكل من أراد لقاء الله فعليه بالطاعة والعمل الصالح ، والآية الكريمة :

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

[ سورة الكهف : ١١٠ ]

إذا نستقبل هذه الأيام العشر بالتوبة .

هناك سؤال : ما برنامج العبادات الذي ينبغي أن يكون مطبّقاً على مدار العام ؟ لا بدّ من صلاة الفجر في وقتها ، ولا بدّ من تلاوة بعض القرآن ، ولا بدّ من التفكّر في خلق السموات والأرض ، ولا بدّ من الدعاء ، ذكرٌ ودعاء وتفكّر وتلاوة وصلاة ، حصة يومية إما صباحاً أو مساءً ، إما قبل طلوع الشمس أو قبل غروبها ، من آناء الليل أو في أطراف النهار ، لا بدّ من جلسة تتصل من خلالها بالله عزّ وجل ، فهذه ينبغي أن تكون في الأيام العشر واضحة جداً ، فالطاعات أسباب القرب ، والمعاصي أسباب البُعد .

الآن ، فضل هذه الأيام العشر كما ورد في القرآن الكريم ، الآية التي تشير إلى ذلك هي قوله تعالى :

﴿ وَالْفَجْرِ \* وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾

[سورة الفجر : ١-٢]

والليالي العشر في رأي بعض المفسرين هي الأيام العشر الأولى من ذي الحجة وهذا ما عليه جمهور المفسرين ، والسلف الصالح ، والخلف الصالح .

وهناك آية ثانية ، أيضاً أشار العلماء إلى أنها تعني الأيام العشر ، قال تعالى :

﴿ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾

[سورة الحج : ٢٨]

أيضاً جمهور العلماء على أن هذه الأيام المعلومات هي الأيام العشر الأولى من ذي الحجة ، هذه آية ثانية .

والنبي عليه الصلاة والسلام في حديث شريف يقول :

(( أفضل أيام الدنيا أيام العشر - أي عشر من ذي الحجة - قيل : ولا مثلهن في سبيل الله ؟ ))

[البيزار عن جابر]

لو أن هذه الأيام العشر يا رسول الله كانت في الجهاد ، في القتال ، في بذل الغالي والرخيص ، في بذل النفس والنفيس . فقال عليه الصلاة والسلام :

(( ولا مثلهن في سبيل الله ؟ ))

[البيزار عن جابر]

دققوا : النبي عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى . .

﴿ إِنَّهُ هُوَ الْبَاقِي وَيُوحَىٰ ﴾

[سورة النجم : ٤]

وكلام النبي عليه الصلاة والسلام وحي غير متلو ، وهو يقول :

(( أفضل أيام الدنيا أيام العشر - أي عشر من ذي الحجة - قيل : ولا مثلهن في سبيل الله ؟

قال : ولا مثلهن في سبيل الله إلا رجلٌ عَفَرَ وجهه بالتراب ))

[البيزار عن جابر]

أي استشهد ، وبذل روحه ونفسه في سبيل الله ، معنى ذلك الحُجَّاج في بؤرة النفحات الإلهية ، في المَحْرَق ، أما غير الحجاج فيحومون حول هذه البؤرة ، الحجاج الصادقون في يوم عرفة و يوم عرفة هو أفضل أيام الدنيا على الإطلاق ؛ يوم المغفرة ، يوم العتق من النار ، يوم قبول الله لعباده ، يوم إكرامهم ، يوم أن يعودوا من ذنوبهم كيوم ولدتهم أمهاتهم ، ما رأي في هذا اليوم الشيطان في حالة يائسة كهذا اليوم ، لأن الله غفر لأهل الموقف ، وقبلهم ، وعفا عنهم ، ورضي عنهم ، ومن وقف في عرفات ولم يغلب على ظنه أن الله غفر له ، فلا حجَّ له ، هؤلاء في

البؤرة، في المَحْرَق ، أما غير الحُجَّاج فيجب أن يحوموا حول هذه البؤرة وحول هذا المحرق ، فكل إنسان لم يتح له أن يحج إلى بيت الله الحرام ، عليه أن يجعل من هذه الأيام العشر مُناسبةً للقرب من الله عزَّ وجل ، هناك عباداتٌ استثنائية ، وبإنفاقٍ استثنائي ، وبعلمٍ وتعليمٍ استثنائي ، ويعمل صالحٍ استثنائي . مما يشير إلى فضل هذه الأيام العشر أن فيها يوم عرفة ، يوم الحجِّ الأكبر ، يوم مغفرة الذنوب ، يوم العتق من النار ، ولو لم يكن في العشر من ذي الحجة إلا يوم عرفة لكافأها ذلك فضلاً ، من هذه الأيام يوم عرفة .

والله أيها الأخوة ، لا يصح أن تقول من أعماق أعماق قلبك لإنسان : هنيئاً لك إلا إذا اصطُح مع الله ، إذا اشترى بيتاً ودعاك لزيارته ، ورأيت بيتاً رائعاً ، واسعاً ، جميلاً ، مُطِلاً ، فخماً ، مفخماً تقول له : هنيئاً لك على هذا البيت ، لكن هل يدوم له هذا البيت؟ لا بدّ من أن يخرج منه مرةً بشكلٍ أفقي ، كل واحدٍ منا لا بدّ من أن يخرج من بيته يوماً بشكلٍ أفقي ، لا بدّ من أن يخرج دون أن يعود .

كل واحدٍ منا ما دام في عمره بقية يخرج من البيت الساعة العاشرة أين فلان؟ تأخر ، لم يخبرنا، يقلق أهله عليه ، إلا الذي توفاه الله عزَّ وجل ، فإذا خرج من البيت ودفن ، لا أحد يسأل في السهرة عنه أنه تأخر ، انتهى الأمر ، لن يرجع ، ذهب ولن يعود .

قلو لم يكن في هذه الأيام العشر إلا يوم عرفة لكفاها فخراً ، والإنسان لا يمكن أن يقول لإنسانٍ آخر : هنيئاً لك إلا في حالةٍ واحدةٍ إذا اصطُح مع الله ، أما في شراء بيت ، في نجاح تجارة ، في نيل شهادة ، في تسنُّم منصب ، هذه كلها زائلة ، أما في معرفة الله وطاعته والعمل الصالح فهذه باقية .

## اجتماع أمهات العبادات في هذه الأيام :

قيل : إن هذه الأيام فيها أيضاً يوم النحر ، وهو أفضل أيام السنة عند بعض العلماء وقد قال عليه الصلاة والسلام :

### (( أعظم الأيام عند الله يوم النحر ))

[ رواه أحمد وأبو داود والحاكم عن عبد الله بن قريط ]

نحن بحياتنا رموز كثيرة ، العَلَم رمز ، العلم قماش أحمر وأسود وأخضر وأبيض مثلاً ، لو إنسان احتقر العلم يعاقب أشد العقاب ، يقول لك : هذا قماش . لا ، هذا ليس قماشاً هذا رمز للوطن ، فبِحياة كل مجتمع مقدّسات ، كذلك الإنسان في يوم النحر ، هو الحقيقة ينحر الأضحية ، لكنه ينحر شهواته المُحرَّمة ، ينحر كل رغبةٍ في معصية ، من رموز يوم النحر أنك في هذا اليوم اصطُحت مع الله ، وفي هذا اليوم نحرت كل شهواتك التي لا ترضي الله عزَّ وجل ، فيوم النحر أيضاً من أيام عشر ذي الحجة .

وقال بعض العلماء ، وهو الحافظ بن حجر في - فتح الباري في شرح صحيح البخاري - : إن سبب امتياز هذه الأيام أن فيها اجتماع أمهات العبادات ؛ فيها الصلاة ، والصيام ، والصدقة ، والحج ، ولا يتأتى ذلك في غير هذه الأيام .

### الأيام العشر من ذي الحجة من أفضل ايام الدنيا بالنسبة إلى المسلم :

أيها الأخوة . . . أنتم مُقَدِّمُونَ على عشرة أيام ، يقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال عليه الصلاة والسلام :

(( ما من أيامٍ العمل الصالح فيها أحبُّ إلى الله تعالى من هذه الأيام . قالوا : يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجلٌ خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء ))

[ البخاري عن ابن عباس ]

أي بذل حياته في سبيل الله . وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له الأعمال ، فقال :

(( ما من أيامٍ العمل الصالح فيها أحبُّ إلى الله تعالى من هذه الأيام . قالوا : يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : ولا الجهاد في سبيل الله - هذا كلام النبي - إلا رجلٌ خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء ))

[ البخاري عن ابن عباس ]

أي يقتل في سبيل الله .

إذاً في القرآن آيات ثلاثة ، وفي السنة عدة أحاديث ، وفي أقوال العلماء في شرح الأحاديث ، يتضح أن هذه الأيام من أفضل ايام الدنيا بالنسبة إلى المسلم .

### الأعمال المستحبة في هذه الأيام :

#### ١ - أداء مناسك الحج و العمرة :

ما هي الأعمال المستحبة في هذه الأيام ؟ بالمناسبة في الأيام العادية ؛ يوم الجمعة له خصوصية، فيه ساعة استجابة ، أيام رمضان لها خصوصية ، أيام الحج لها خصوصية ، وقت السحر له خصوصية ، كأن الله عزَّ وجلَّ أراد أن تكون هذه الأيام مناسبات خاصة :

(( إِنَّ اللَّهَ يُمْهَلُ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ هَلْ مِنْ تَائِبٍ هَلْ مِنْ سَائِلٍ هَلْ مِنْ دَاعٍ حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ ))

[مسلم عن أبي هريرة]

وقت السحر له روحانية خاصة .

**((لو يعلم الناس ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبواً))**

[ متفق عليه عن أبي هريرة ]

وقت السحر له خصوصية ، ويوم الجمعة له خصوصية ، فيه ساعة استجابة ، العشر من ذي الحجة لها خصوصية ، أيام رمضان لها خصوصية ، هذه خصوصيات الزمان ، أما خصوصيات المكان فالمسجد له خصوصية ، بيت الله الحرام له خصوصية .

قال العلماء : يُفَضَّلُ أَنْ يَكْثُرَ الْمُسْلِمُ مِنْ أَوْجِهِ الْخَيْرِ ، وَأَنْوَاعِ الطَّاعَةِ ، هَكَذَا كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ يَفْعَلُ فِي هَذِهِ الْمَوَاسِمِ ، فَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ يَعِظُمُونَ ثَلَاثَ عَشْرَاتٍ ؛ الْعَشْرَ الْأَخِيرَ مِنْ رَمَضَانَ ، وَالْعَشْرَ الْأَوَّلَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، وَالْعَشْرَ الْأَوَّلَ مِنْ مُحَرَّمٍ . أَعْظَمَ الْأَعْمَالَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرَ أَدَاءَ مَنَاسِكَ الْحَجِّ وَالْعَمْرَةِ . .

**﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾**

[ سورة آل عمران : ٩٧ ]

خالق الكون يدعوك لزيارته ، والعظيم إذا دعاك بماذا يكرمك ؟ إذا كان البيت بيت الله العادي . من توضعاً في بيته فأحسن الوضوء ، ثم أتى المسجد فهو زائر الله وحق على المزور أن يكرم الزائر . فكيف إذا زرته في بيته الحرام ؟ أو في مسجد النبي عليه الصلاة والسلام ؟ إذاً أفضل الأعمال أداء مناسك الحج والعمرة .

## قواعد الحج :

لكن بالمناسبة ، الحج له قواعد ، الحج على المستطيع ، الشيء الذي يُحَيِّرُنِي وَاللَّهُ أَيُّهَا الْأَخُوَّةُ أَنْ أَنَاسًا كَثِيرِينَ يَرِيدُ أَنْ يَقْتَرِضَ لِحَجِّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، أَتَعْلَمُونَ اللَّهُ بِدِينِكُمْ ؟ فَإِذَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا فَرَضَهُ إِلَّا عَلَى الْمُسْتَطِيعِ أَيْعَقَلُ أَنْ تَقْتَرِضَ مَا لَمْ مِنْ أَجَلٍ أَنْ تَحُجَّ ؟ الْيَوْمَ قَالَ لِي أَخٌ : فَلَانَ عَلَيْهِ مِئَةُ أَلْفٍ لَبِيرة ، وَصَاحِبُ هَذَا الدِّينِ فِي أَمْسٍ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ ، وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَقْتَرِضَ لِحَجِّ هَذَا الْعَامِ ، وَاللَّهُ شَيْءٌ عَجِيبٌ ، عَلَيْهِ مِئَةُ أَلْفٍ ، وَصَاحِبُ هَذَا الدِّينِ فِي أَمْسٍ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ ، وَيَرِيدُ أَنْ يَقْتَرِضَ هَذَا الْعَامِ لِحَجِّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ؟ قُلْتُ : وَاللَّهِ أَعْلَمُ ، هَذَا حَجُّ السَّمْعَةِ وَالرِّيَاءِ لَا حَجُّ الْعِبَادَةِ ، لِأَنَّكَ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْبُدَهُ يَنْبَغِي أَنْ تَعْبُدَهُ وَفَقَ مِنْهُجَهُ ، دَرءَ الْمَفَاسِدِ مَقْدَمٌ عَلَى جَلْبِ الْمَنَافِعِ ، أَنْ تَعْطِي صَاحِبَ الدِّينِ دِينَهِ مَقْدَمٌ عَنِ أَنْ تَقُولَ : هَذِهِ الْحِجَّةُ الْخَامِسَةُ عَشْرَةَ . وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ :

**(( العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة ))**

[ متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه ]

**(( مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمٍ وُلِدَتْهُ أُمُّهُ ))**

[ متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه ]

إذا السلطان لم يسمح لك ، كل أمة لها سلطان ، هناك تنظيمات ، السلطان ما سمح لك فترشيه ، يجب أن نذهب بالرشوة ، أيعقل أن تبدأ أعظم عبادةٍ بمعصية ؟ أيعقل هذا ؟ أيعقل أن تبدأ هذه العبادة بتصريحٍ كاذب ؟ هكذا .

الحج المبرور هو الحج الموافق لهدي النبي عليه الصلاة والسلام ، فقد حدثني أخ فقال لي : هناك طريقة في الحج رائعة جداً . فقلت : تفضل ما هي ؟ فقال لي : نصلي العصر في جدة . في أي يوم ؟ قال : يوم عرفة نصلي العصر في جدة ، قلت له : أكمل ، قال : الطريق إلى مكة فارغ ، والله شيء جميل ، ندخل بيت الله الحرام ونطوف مع عشرة أشخاص فقط ، لا يوجد أحد ، ربع ساعة ، حول الكعبة تماماً ، والسعي نصف ساعة ، وعلى عرفات ، نصل إلى عرفات آخر سيارة ، والطريق سالك فارغ ، الآن نستقر بها عشر دقائق إلى أن تغيب الشمس ، الطريق كذلك سالك ، قلت له : أكمل لأرى ، قال لي : نصل فنرمي الجمرة الكبرى ونطوف طواف الإفاضة تقريباً الساعة الثامنة أو التاسعة مساءً ، فلا أحد هناك ، ونوكل برمي الجمار بالأيام الباقية - الثاني والثالث والرابع - قلت له : هذا وضعه مثل إنسان دُعي إلى وليمة ثمينة جداً ، وفي الوليمة دفتر حضور ، إذا وضع " ميم ، أي موجود " ثم رجع ولم يأكل شيئاً وضع " ميم " أنه موجود ولكنه لم يأكل ، لذلك أفضل أعمال هذه الأيام العشر أداء مناسك الحج والعمرة .  
الحج المبرور . .

**(( مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمٍ وُلِدَتْهُ أُمُّهُ ))**

[ متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه ]

هو الحج الذي لم يخالطه إثمٌ من رياءٍ ، أو سمعةٍ ، أو رفثٍ ، أو فسوقٍ ، بل رافقته الأعمال الصالحة .

## ٢ - الصيام :

من هذه الأعمال الصالحة في هذه الأيام الصيام ، فإذا كان جسم الإنسان يتحمل ، عمله مريح ، متقاعد ، والصيام لا يتعبه ، إذا صام هذه الأيام أفضل ، ولكن بشرط ألا ينكر الصائم على غير الصائم ، وألا يأخذ عليه مأخذاً ، الصحابة كانوا في أعلى درجة من الأدب ، الآن إذا إنسان صام يوم نفل يطيّب الدنيا بسببه ، فيقول : أستم صائمين ؟ ! مثلاً صام يوم عاشوراء لا يبقي واحداً إلا ويقول له : ألم تصم ؟ اليوم هذا يوم فضيل . فإذا كنت صائماً فاسكت ولا تخرج الناس .

على كل الصحابة الكرام في أعلى درجة من الأدب ، ففي بعض الغزوات بعضهم صام وبعضهم أفطر ، بعضهم أخذ بالعزيمة ، وبعضهم أخذ بالرخصة ، فلا الذي صام أنكر على المفطر ، ولا الذي أفطر أنكر على الصائم ، وهذا هو الأدب . فقد نجد إنساناً جسمه يتحمل الصوم ، متقاعد ، لا يوجد عنده شيء ، والنهار قصير ، صام هذه الأيام العشر ، وهناك إنسان عنده عمل شاق إذا صام تعطل عمله ، لم يتمكن أن يكمل إنجازاته فصام يوم عرفة فقط ، أنا بشكل مُلطّف : الذي

عنده إمكان أن يصوم هذه الأيام كلها الأولى أن يصومها ، والذي لا يوجد عنده إمكان فلا يصم ، بشرط ألا يأخذ الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم ، بل إن النبي عليه الصلاة والسلام لحكمة رائعة رائعة في بعض الغزوات أناسٌ صاموا وأناسٌ أفطروا ، اشتدَّ الحر ، فالمفطرون ذبحوا الذبائح ، وطبخوا الطعام ، ونصبوا الخيام ، فقال عليه الصلاة والسلام :

### (( ذهب المفطرون اليوم بالأجر ))

[ مسلم عن أنس ]

المفطرون ، فإذا إنسان فرضاً عنده بيوم برنامج عمل كثيف جداً ، ممكن أن ينجز خمسين إنجازاً ، وكلها أعمال صالحة ، فإذا كان الفطر أقوى له ينبغي أن يفطر ، أما إذا في مشقة بالغة جداً ، النبي أمسك كأس ماءٍ وأفطر أمام كل أصحابه ، فالذي لم يفطر هذا يعدُّ عند النبي الكريم عاصياً . فمرة رفع كأس ماءٍ وأفطر ، وبلغه أن بعضاً لم يفطر ، فقال :

### (( أولئك العصاة ))

[ الموطأ عن جابر ]

هذه مزادة على النبي .

### (( أولئك العصاة ))

[ الموطأ عن جابر ]

لست أشد ورعاً منه ، ولست أحرص على صلتني بالله منه ، إذاً العمل المفضل في هذه الأيام من دون مشقة ، ومن دون أن تتبس ببنت شفاه ، صم واسكت ، قال لي أخ كريم عافاه الله : أنه علم أولاده أي أكلة كل واشكر ، زيتون كل واشكر ، أي أكلة مهما كانت خشنة كل واشكر ، مرة طبخنا طبخة لم يحبها الأولاد ، تمللوا قليلاً ، فقال لهم : كل واسكت .  
تريد أن تصوم فصم واسكت ، تعمل مزادات تخرج الناس ، تعلق تعليقات ، تستفهم. لقول الله عزَّ وجل في الحديث القدسي :

### (( كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

العمل الأول إذاً : أداء مناسك الحج والعمرة لمن أكرمهم الله بالحج والعمرة .  
العمل الثاني هو الصيام لمن قدر عليه ، أما صيام عرفة لغير الحجّاج فهو سنة مؤكدة ، يوم ليس فيه مشكلة أبداً . فقال عليه الصلاة والسلام :

### (( صيام يوم عرفة احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والتي بعده ))

[مسلم عن أبي قتادة رضي الله عنه]

الإمام النووي استحَب أن تصام هذه الأيام استحباباً شديداً .



العمل الثالث في هذه الأيام : الصلاة ، وهي من أجل الأعمال وأعظمها وأكثرها فضلاً ، وقد قال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه :

(( ما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعادني لأعيدنه ))

[البخاري عن أبي هريرة]

قيل : ويستحب أيضاً التكبير ، والتحميد ، والتهليل ، والذكر في هذه الأيام .  
وذكرت لكم في مناسبة سابقة أن الذكر واسع جداً ، فهذا الدرس ذكر ، هذا المجلس ذكر ، يتوهم الناس معنى مجلس ذكر أن فيه حضرة ، لا ، لا ، إذا حدثت الناس عن الله عزّ وجل ، عرفتهم بأسمائه ، بصفاته ، بكمال الأنبياء ، بشرح القرآن ، بشرح السنّة ، بمواقف الصحابة الكرام هذا من الذكر ، هذا ذكر دعوي ، وهناك ذكر تعريفي ، و ذكر فقهي ، و ذكر تعبدي ، كل نشاطٍ يقربك من الله فهو ذكر ، في هذه الأيام يستحب أن يكثر الإنسان من ذكر الله .

عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(( ما من أيامٍ أعظم عند الله ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر ، فأكثرُوا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد ))

[أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما]

مع الأسف الشديد إذا الإنسان غضب من إنسان يقول له : لا إله إلا الله ، متى يوجد ؟ عند الغضب فقط ، وإذا صارت مشادة لدرجة خطيرة يقول له : صلّ على النبي ، فالصلاة على النبي والتوحيد بمناسبات شاذة ، أما الأصل فإن تكثر من التوحيد ، ومن الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام ، والإمام البخاري يروي :

(( أن ابن عمر وأبا هريرة رضي الله عنهما كانا يخرجان إلى الأسواق في الأيام العشر يكبران ويكبر الناس بتكبيرهما ، ويكبر أهل الأسواق حتى ترتج منى تكبيراً ))

[البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما]

وكان ابن عمر يكبر بمنى في تلك الأيام ، وخلف الصلوات ، وعلى فراشه ، وفي مجلسه ، وفي ممشاه في تلك الأيام جميعاً . إذاً يستحب أن نكثر من التكبير ، والتهليل ، والذكر ، في هذه الأيام .

لكن بصراحة مؤلمة هناك كلمات عند المسلمين فرغت من مضمونها ليس لها معنى فالذي يطيع مخلوقاً ويعصي خالقاً ما قال الله أكبر ولا مرة ولو ردها بلسانه ألف مرة ، والذي يغش

المسلمين ، وكَبُرَّ في هذه الأيام ، ما كبير ولا مرة ولو ردها ألف مرة ، لأنه رأى أن هذا الريح الوفير من هذا الغش أكبر عنده من طاعة الله ، والذي يطيع زوجته ويعصي ربه ما قالها ولا مرة ولو ردها بلسانه ألف مرة ، فكلمة الله أكبر كلمة الإسلام الأولى ، ومع ذلك تردد كثيراً دون أن نفقه إلى مضمونها ، أي أكبر من كل كبير ، أكبر من كل مغنم دنيوي ، بالحرب الله أكبر ، أي أكبر من كل عدو ، الإنسان مع ضعف إيمانه يكبر عدوه عليه ، فيقول : عنده صواريخ ، عنده سلاح نووي ، عنده أقمار صناعية ، عنده طائرات شبح ، نحن ضعاف ، فهذا ما رأى أن الله أكبر منه ، رآه كبيراً ولم يكن إيمانه قوياً ، فرأى هذه الجهة قوية ونسي الله عزَّ وجل .

## ٥ - الصدقة :

يستحب في هذه الأيام العشر الصدقة ، وهي من جُملة الأعمال الصالحة التي يستحب للمسلم الإكثار منها في هذه الأيام ، قال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةَ  
وَالكَّافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

[سورة البقرة : ٢٥٤]

و :

(( ما نقص مال من صدقة ))

[مسلم والترمذي عن أبي هريرة]

## ٦ - القيام بالأعمال الصالحة :

نذكر قوائم من الأعمال الصالحة ؛ قراءة القرآن ، تعلّم القرآن ، تعليم القرآن ، برُّ الوالدين ، الاستغفار ، صلة الأرحام والاقارب ، إيشاء السلام ، إطعام الطعام ، الإصلاح بين الناس ، الأمر بالمعروف ، النهي عن المنكر ، حفظ اللسان ، حفظ الفرج ، الإحسان إلى الجيران ، إكرام الضيف ، الإنفاق في سبيل الله ، أن تميط الأذى عن الطريق ، النفقة على الزوجة والعيال ، كفالة الأيتام ، زيارة المرضى ، قضاء حوائج المسلمين ، الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، عدم إيذاء المسلمين ، الرفق بالرعيّة ، صلة أصدقاء الوالدين ، الدعاء للإخوة بظهور الغيب ، أداء الأمانات ، الوفاء بالعهد ، البرُّ بالخالة والخال ، إغاثة الملهوف ، غضّ البصر ، إسباغ الوضوء ، الدعاء بين الأذان والإقامة ، قراءة سورة الكهف يوم الجمعة ، الذهاب إلى المساجد ، المحافظة على صلاة الجماعة ، المحافظة على السنن الراتبة ، الحرص على صلاة العيد ، ذكّر الله عقب الصلوات ، الحرص على الكسب الحلال ، إدخال السرور على المسلمين .

الآن من أين يوجعك ؟ تجد شخصاً همه إيذاء الناس ، يتلذذ بإيذاء الناس ، بإخافتهم ، أما المسلم فعمله الأول إدخال السرور على المسلمين ، الشفقة بالضعفاء والمساكين ، اصطناع المعروف ،

الدلالة على الخير ، سلامة الصدر ، ترك الشحناء ، تعليم الأولاد والبنات، التعاون على البر والتقوى ، هذه قوائم من الأعمال الصالحة في هذه الأيام .  
أيها الأخوة الكرام . . . هذه الأيام العشر من أفضل أيام الدنيا ، فإذا كان حُجَّاج البيت الحرام الآن حول الكعبة يطوفون ، وعند النبي يزورون ، فنحن أقل شيء علينا أن نكثر من الصيام ، والصلاة ، والصدقة ، والعمل الصالح في هذه الأيام العشر ، فلعل الله سبحانه وتعالى يتجلى علينا بنفحةٍ من عنده .

**والحمد لله رب العالمين**